EDITORIAL

الجمالية في التَّصور الإسلامي

الدكتوره ليلى بلخير*

الملخص

هدف البحث إلى إيجاد تفسير علمي من شأنه تسليط الضوء على ملامح الجمالية الإسلامية تصورا ومنهجا، إذ على الرغم من الفتوحات الكبيرة التي عرفها المسلمون في مختلف أبواب العلوم والمعرفة إلا أن البحث الجمالي لم يظهر في مؤلفات مستقلة، وهنا السؤال هل ذلك يعني مناهضة الدين للتفكير الجمالي؟ أم أن طبيعة الجمال وطبيعة الدين منفصلتان بالضرورة؟ أم الأمر مجرد إدعاء لإفراغ الجمالية من محتواها الحضاري، واعتبار مناهج الفلسفة الوضعية هي الجمالية الوحيدة بترسانتها التقنية المتفوقة؟. وهل هناك تفسير علمي للشبهة المقزمة للنوع الجمالي الإسلامي؟ وإذا كانت هناك جمالية إسلامية فما هو مصدرها، وما هي أبعادها؟! وكيف السبيل لبناء نظرية شاملة، لصوغ منهج تطبيقي محكم لدراسة الآثار الجمالية؟!. واستخدمت الباحثة المنهج التاريخي بتّتبع المصطلح وهو يتطور انطلاقاً من مصدره الأول وهو القرآن الكريم، بالإضافة إلى تحليل وتوصيف المصطلح سواء في مصادره أو في الدراسات، من أجل الإمساك بالمنظور الذي أطّر مصطلح الجمالية، وهو المنظور الإسلامي. وتوصّلت الباحثة إلى العديد من النتائج .

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العربي التبسي- تبسة – الجزائر.

EDITORIAL

مقدمة:

يتطور الوعي الجمالي تبعاً لتطور البنية الفكرية للمجتمع ويتشكَّل ضمن المنظومة الاجتماعية في حلقة وصل متضافرة في صيرورة التاريخ الحضاري للأمم. وجماليات الأمة العربية صورة صادقة عن البيئة الطبيعية وحياة البادية البسيطة التي نقلها لنا ديوان العرب "الشَّعر" التي عكس امتيازاً في فهم الجمال وتذوقه وصناعته البيانية، وربما لم تعرف احتفالاً بإعجاز القرآن لو لم تكن في مستوى عال من الوعي الجمالي، الذي مكن الأمة العربية من شهود أعظم نهضة جمالية في التاريخ الإنساني، وذلك لارتباطها، أساساً، بالقرآن الكريم، وهو "نفسه يعتمد (الجمالية) في الأداء لكي يؤدي وظيفته في الحدود القصوى التي أرادها له الله"[1]. ومن ثم لا يمكن بأي حال الحكم على الجمالية الإسلامية من منظور وثني جعل همه منصباً على تحقير واستصغار عطاءات وجهود الأمة العربية الإسلامية، ومحاولة نسب أي قيمة أو فضل في تاريخ الوعي الجمالي العربي إلى الإغريق، وذلك لقطع صلته بجذوره الأصيلة[2].

ورغم الفتوحات الكبيرة التي عرفها المسلمون في مختلف أبواب العلوم والمعرفة إلا أنّ البحث الجمالي لم يظهر في مؤلفات مستقلة، لنسأل ما إذا كان ذلك يعني مناهضة الدين للتفكير الجمالي؟ أم أنّ طبيعة الجمال وطبيعة الدين ينفصلان بالضرورة؟ أم أنّ الأمر إدعاء مجانب للصواب لإفراغ الجمالية من محتواها الحضاري، ودعاية مموهة لاعتبار مناهج الفلسفة الوضعية هي الجمالية الوحيدة بترسانتها التقنية المتفوقة. وهل هناك تفسير علمي للشبهة المقزمة للنوع الجمالي الإسلامي؟ وما هو مصدر الجمالية الإسلامية وما هي أبعادها؟! وكيف السبيل لبناء نظرية شاملة لصوغ منهج تطبيقي محكم لدراسة الآثار الجمالية؟!.

وللإجابة عن الأسئلة تتبعنا منهجا تاريخيا يتتبع المصطلح وهو يتطور انطلاقاً من مصدره الأول وهو القرآن الكريم، بالإضافة إلى تحليل وتوصيف المصطلح سواء في مصادره أو في الدراسات،من أجل الإمساك بالمنظور الذي أطر مصطلح الجمالية، وهو المنظور الإسلامي.

أولاً- مصطلح الجمالية في القرآن الكريم:

جاء في لسان العرب مادة في مادة (جمل) "الجمال مصدر الجميل، والفعل جَمُل... الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق...وإمرأة جملاء، وجميلة...وفي حديث الإسراء: ثم عرضت له إمرأة حسناء جملاء أي جميلة مليحة. وقال ابن الأثير: والجمال يقع على الصورة والمعاني"،وبهذا تحضر كلمة جمال في المعجم العربي بمعنى الحسن في الشكل الهيئة وفي الفعل، وكذلك في المعاني.

1 عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، الطبعة الثانية ، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت1985م ص 28.

2 أنور الجندي ، خصائص الأدب الإسلامي في مواجهة نظريات النقد الحديث ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ص 282.

EDITORIAL

ووردت في القرآن الكريم معاني كثيرة تدور في محور الجمال والحسن كظاهرة مطردة تتجاوز النسق اللغوي والبعد الشكلي، يحكمها تصور شامل للكون والحياة، تركز الحديث عن آثاره[3] ووقعه في وجدان الإنسان في قوله تعالى **{إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين}**[4] ، وفي الآية "كشف عن معنى الجمال وهو ما يدخل السرور على النفس، فالجمال هو ما يسر؛ لكن هل يكون معنى ذلك أنّ الجمال ليست له مواصفات وهيئات خارجية يمكن أن تحدد لتيسر لنا أمر اتخاذ قواعد معينة، تجلى وفقها أسرار القيمة الجمالية لنص ما؟"[5]هذا من جهة. ومن جهة أخرى (إذا) تتبعنا الاستعمال القرآني للفظ (الجمال) لوجدناه لم يتجاوز الثماني مرات، واحدة بصيغة المصدر والباقي كانت صفة، وكلها في مجال الأخلاق باستثناء قوله تعالى **{ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون}**[6] ، هل محدودية استعمال القرآن لفظ جمال معناه تضييق مجالاته وقصرها على المجال الأخلاقي؟ أم أنّ الظاهرة الجمالية في التصور الإسلامي كلية وشاملة، لا يمكن تفسيرها من وجهة شكلية عن طريق إحصاء لفظي فقط؟.

1- المفهوم الاصطلاحي للجمالية الإسلامية عند المفسرين:

والبداية مع الإمام (القشيري)[7] الذي له وجهة نظر صوفية في هذه الآية الكريمة مفادها أن "الغني له جمال بماله، والفقير له استقلال بحاله ... وشتان ما هما! فالأغنياء يتجملون بأنعامهم حين يريحون وحين يسرحون، والفقراء يستقلون بمولاهم حين يصبحون وحين يمسون أولئك تحمل أثقالهم جمالهم، وهؤلاء يحمل الحق عن قلوبهم أثقالهم"[8] وكأنه يوحي إلى الجمال الباطني في ارتباطه بالحق العلوي، وتنزهه عن أثقال المتع الدنيوية، والجمال الظاهري المتمثل في الأموال والأنعام.

أما بالنسبة للمدرسة العقلية نجد (أبا بكر الرازي)[9] ينظر إلى الآية من خلال ترتيب المنافع إلى قسمين منافع مادية، والمنافع غير الضرورية (التحسينية) "واعلم أنّ وجه التجمل بها أنّ الراعي إذا روحها بالعشي وسرحها بالغداة تزينت عند تلك الإراحة وتسريح الأفنية وتجاوب الثغاء والرغاء، وفرحت أربابها وعظم وقعهم عند الناس بسبب كونهم مالكين لها"[10].

3 صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى، 1986 ص 115.

4 القرآن الكريم برواية ورش البقرة 69.

5 أحمد رحماني ، نظريات الإعجاز القرآني، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م ، ص 4.

6 النحل 6 .

7 هو عبد الكريم بن هوازن عبد المالك بن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير بن كعب، أبو القاسم أشهر كتبه التيسير في التفسير الأعلام ، ج4 ص57،وفيات الأعيان ج3 ص 205-207.

8 القشيري، لطائف الإشارات، مركز تحقيق التراث الهيئة، المصرية العامة للكتاب ، م 4 ط1981/2، ص286.

9 الرازي هو الإمام الفقيه المفسر النحوي الأصولي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر التميمي البكري ولد في سنة 544 هـ، وتوفي سنة 606هـ، وفيات الأعيان، ج4 ص، 191.

10 أبو بكر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة،(د.ت)، ج19 ، ص 233.

EDITORIAL

وهو في هذا الموضع التفت إلى ترتيب الجمال على نسق الأصوليين[11] ، فهو في مرتبة التحسينات التي تلي الحاجيات والضـــروريات، ولم يلتفت إلى حقيقة الجمالية وهي "حقيقة تأخذ أبعادها كعنصـــر له من الأصـــالة والأهمية والرعاية، ما لغيره من الحقائق الأخرى، إنه عنصـــر قد روعي اعتباره ووجوده في أصـــل التصـميم، ولذا فهو ليس في بناء الإسـلام من النوافل والتحسـينات التي يمكن الاسـتغناء عنها، إنه عنصـر يدخل في تكوين المادة التي تصنع البناء نفسه"[12]، وهذا التجزيء والتقسيم من مقتضيات المنهج العلمي، لأنّ التداخل والترابط بين الأقسام الثلاثة في الحياة الإنسانية يجعل الأمور التحسينية تشكل القمة المنشودة، التي يتنافس المتنافسون لبلوغها وفق عمليتي الإتقان والإحسان لبلوغ المستوى العالي من الكمال[13].

ويفرَّق (الزمخشـري) بين المنافع المادية والمعنوية التي يحققها الجمال، وقرن بينهما في الأصـــل الواحد "منّ الله بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصـــحاب المواشـــي، بل هو من معاظمها، لأنّ الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة، فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية. وتجاوب فيها الثغاء والرغاء أنست إليها وفرحت أربابها، وأجلتهم في عيون الناظرين إليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس"[14].

ويظهر اعتناء القرآن بالجانب الجمالي، في الأثر الذي يتركه في الحياة الإنســـانية وســـرعة تمكنه من القلوب، وفعالية الأثر النفسي الذي يوجَّه حركة المجتمع نحو الكمال والرقي. وهذه القيمة العالية والفهم العميق للجمالية القرآنية كان على يد سيد قطب في ربطه بين الجمال والحياة في تصور شامل. فالجمالية "لها قيمتها في بيان نظرة القرآن ونظرة الإسـلام للحياة، فالجمال عنصـر أصـيل في هذه النظرة وليست النعمة هي مجرد تلبية الضـرورات من طعام وشـراب وركوب، بل تلبية الأشـواق الزائدة على الضـرورات، تلبية حاسـة الجمال، ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع إلى ميل الحيوان وحاجة الحيوان"[15].

ويظهر بجلاء تميز الجمالية الإســـلامية من غيرها، وأنها بعيدة كل البعد عن العشـــوائية، بل إنّ كل المظاهر تؤكَّد "أنّ الجمال عنصـــر مقصـــود في بناء هذا الكون، وأنّ صـــنعة الصـــانع بديعة التكوين جميلة التنســيق، وأن الجمال فطرة عميقة لا عرض ســطحي"[16]، يحركه في ذلك هاجس محوري هو التوصـــل إلى حقيقة الجمالية القرآنية ومنبع الأثر المعجز[17].

---

11 الشاطبي، الموافقات، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ،(د.ت) ، ج2 ص9-12.

12 الظاهرة الجمالية في الإسلام ، ص 10.

13 المرجع نفسه ، ص 124.

14 محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف ، دار المعرفة، بيروت ، (د ت)، ج2 ص 322.

15 سيد قطب ، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر ، (د ت) ، ج14 ، ص2161.

16 في ظلال القرآن ، ج 23 ، ص2983-2784.

17 سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، دار المعارف، الطبعة التاسعة، (د.ت) ، ص 18.

EDITORIAL

ويختلف منهج (سيد قطب) في التفسير اختلافاً جذرياً عن مناهج المفسرين السابقين في اعتمادهم على تجزئة الآيات القرآنية، على ضـــوء المباحث اللغوية والفقهية والتاريخية "وأيّاً ما كانت تلك الجهود التي بذلت في التفســـير وفي مباحث البلاغة والإعجاز، فإنّها وقفت عند حدود عقلية النقد العربي القديمة، تلك العقلية الجزئية التي تتناول كل نص على حده فتحلله وتبرز الجمال الفني فيه –إلى الحد الذي تســـتطيع– دون أن تتجاوز هذا إلى إدراك الخصائص العامة في العمل الفني كله"[18].

وقد خطى (سيد قطب) خطوات باهرة في استخلاص مفتاح المنهج الجمالي في القرآن من خلال دراسة المراحل الســـابقة، مرحلة التذوق الفطري، وهي مرحلة تعكس تأثير القرآن على النفوس، دون أن نجد تعليلاً مقنعاً، بينما المرحلة الثانية مرحلة إدراك مواضـــع الجمال المتفرقة من خلال نظرات جزئية للآية وفي الأخير تم استكمال خصائص المنهج الجمالي مع مرحلة إدراك الخصائص العامة للجمال الفني القرآني"[19].

ويعد (سيد قطب) من المنظرين الرواد للجمالية مصـطلحاً ومنهجاً، فقد أكّد على أصـالة وتميز الجمالة الإسلامية فنبعها من صميم خواص القرآن، وأقام بروح استقلالية نقدية حصيفة مقاصد الجمالية على ضوء مقاصد القرآن الكريم.

2– مصطلح الجمالية عند المفكرين المسلمين:

لا ريب أنّ القرآن أعظم رســـالة جمالية توقظ مكامن الإحســـاس بالمنطق الوجداني، أعجزت أرباب الفن والجمال وشغلت المفكرين والنقاد والفقهاء المتطبعين بسمة العصر في تداخل التخصصات، حيث نجد ظلالا في كتب الفقه عن فكرة الجمال والقبح العقليين[20]. وأيضـــاً الارتباط الوثيق بين الدراســـات القرآنية والنقد في الدراســـات الجمالية، وقد كان الحافز المحرك هو فكرة إعجاز القرآن[21]. وتنزع معظم هذه الدراســـات إلى المباحث التطبيقية الجزئية على الآيات القرآنية أو النصوص الأدبية والوقوف على مواطن الجمال فيها.

ومن أهم الذين يتضح، في دراساتهم، الخط التنظيري لفكرة الجمالية الإسلامية (أبو حامد الغزالي)[22] حيث يفصـل في إدراك الجمال بين الحواس الظاهرة والبصـيرة الباطنة "فالبصـيرة الباطنة أقوى من البصـر الظاهر والقلب أشـــدّ إدراكاً من العين، وجمال المعاني المدركة بالفعل أعظم من جمال الصـــورة الظاهرة للأبصـــار، فتكون لا محـالـة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشـــريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ"[23]. والدليل على اهتمامه بفكرة الجمالية أنه عقد فصـلاً في بيان معنى الحسن والجمال تفصيلاً وإيضاحاً

18 المرجع نفسه، ص 32.

19 صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، شركة الشهاب، الجزائر ص 11-13.

20 انظر وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر ، ج1 ، ص116-120.

21 محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، إلى آخر القرن الرابع هجري، دار المعارف، ط3، ص16.

22 وهو محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الفقيه الشافعي، أصولي ومتكلم وفيلسوف، ولد سنة 450هـ، وتوفي سنة 505هـ، وفيات الأعيان ج4 ص 216-218.

23 أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، عالم الكتب، دمشق، ج4 ،ص255.

EDITORIAL

لأهمية تلازم الظاهر والباطن، وقيمة الباطن في جمالية الصورة "والصورة ظاهرة أو باطنة والحسن والجمال يشملها، وتدرك الصورة الظاهرة بالبصر الظاهر، والصورة الباطنة بالبصيرة الباطنة، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب إليه من البصيرة الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة، فشتان بين من يحب نقشاً مصوراً على الحائط لجمال صورته الظاهرة، وبين من يحب نبياً من الأنبياء لجمال صورته الباطنة"[24].

وقد وفِّق توفيقاً كبيراً في استعمال مصطلح الباطن والظاهر في تحديد الجمالية الإسلامية، فمن ناحية الوظيفية فإنّ الظاهر والباطن أعم وأشمل من الشكل والمضمون، وهما كوحدة خاصية أصيلة من خصائص المنهج الجمالي في الإسلام[25]. وهذا يؤكّد تشربه لروح القرآن في قوله **{وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة}** [26] وقوله **{وذروا ظاهر الإثم وباطنه}** [27].

وعلى النسق نفسه سار (ابن القيم الجوزية)[28] في تقسيم الجمال إلى ظاهر وباطن، وتأكيده على قيمة الباطن في إظهار الجمال"وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال"[29]، فالجمال الباطن عكس أثره على الصورة الظاهرة أما جمال الظاهر "فزينة خص الله بها بعض الصور من بعض، وهي زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها **{يزيد في الخلق ما يشاء}**[30] ، وقد توغل في بسط الارتباط بين الجمال الباطن والجمال الظاهر، والتأكيد على قيمة الباطن في إجلاء الجمال الكامل "فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره، وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره"[31] وقد عقد فصلاً في ذكر حقيقة الحسن والجمال، ذلك لانشغاله العميق بهذه القضية[32]؛ الفكرة وعلاقتها بالسلوك الاجتماعي[33] دليل التزام الظاهر بالباطن التزاماً لا يقبل نقض أحدهما للآخر، ويتفرد الباطن متميزا بالمحورية.

---

24 المرجع نفسه ، ص 258.

25 الظاهرة الجمالة في الإسلام، ص209.

26 لقمان 20.

27 الأنعام 120.

28 هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي الملقب بشمس الدين المعروف بابن القيم الجوزية، فقيه حنبلي وأصولي ومحدث ولد سنة 691هـ، وتوفي سنة 751هـ، النجوم الزاهرة ، ج10، ص 249.

29 ابن القيم الجوزية، روضة المحبين، ونزهة المشتاقين، مطبعة السعادة، مصر 1956، ص220.

30 المرجع نفسه ، ص221.

31 المرجع نفسه،ص 222.

32 المرجع نفسه، ص 231.

33 المرجع نفسه، ص 222.

ويعد (أبو حيان التوحيدي)[34] من السابقين إلى التفكير في الجماليات الإسلامية بإعطائها العناية الفائقة في البحث عن المعايير الضابطة للحسن والقبيح "حتى لا يجور فيرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً، فيأتي القبيح على أنه حسن ويرفض الحسن على أنه قبيح، ومناشئ الحسن والقبح كثيرة، منها طبيعي ومنها بالعادة ومنها بالشَّرع، ومنها بالعقل ومنها بالشَّهوة، فإذا اعتبرنا هذه المناشئ صدق الصادق منها وكذب الكاذب، وكان استحسانه على قدر ذلك"[35]. وهو بذلك يحاول استخلاص مقاييس الحكم الجمالي أو الأسس الجمالية: الأساس الحسي (الطبيعي)، الأساس الاجتماعي (العادة)، الأساس الديني (الشرع)، الأساس الفكري (العقل) والأساس النفسي (الشهوة)[36].

ويؤكَّد على امتياز الإنسان بالعقل والمنطق، بالإضافة إلى القدرة الجمالية "بالأيدي لإقامة الصناعات وإبراز الصور فيها مماثلة لما في الطبيعة بقوة النفس"[37] ويشير إلى دور المنظور الفكري في جمالية الفنون والصنائع وعلاقته بالذوق الجمالي. ولـ(التوحيدي) كثير من النظرات الجمالية في كتابه (المقابسات)، (والهوامل والشوامل)[38] ، تعكس تشربه للتصور الإسلامي في مفهومه للجمالية وربطها بمصدر الجمال، الحقيقة العلوية.

يتجلى مما سبق تميز المفكرين المسلمين في فهم الجمالية على ضوء القرآن الكريم وفق منظور شامل للإنسان والكون والحياة. منظور يستمد حقيقته ووجوده من الاتساق بين الظاهر والباطن، باعتبار الجمال الباطن أرفع قدراً من الجمال الظاهر، دون الاعتداد بظاهر معزول عن باطنه[39]، وهو ما يعكس الانحراف عن التصور القرآني للجمالية كمقوم ارتفاع وسمو عن القشور. وفي هذه الحالة يؤدي الانفصال بين الظاهر والباطن إلى اختلال في النفس والمجتمع، فهذه الخاصية الأصيلة من شأنها المحافظة على دعائم المنهج الجمالي الإسلامي، وتأكيد هويته الثابتة المنزَّهة عن النقص لأنها مرتبطة بتصور شامل لمتطلبات الإنسان وأشواقه الروحية في كل زمان ومكان.

ثانياً- الجمالية منهجاً:

تحت هذا العنوان نحاول إيجاد تفسير علمي من شأنه تسليط بعض الأضواء على ملامح الجمالية الإسلامية تصوراً ومنهجاً، وإن انطلقنا من شبهة القائلين بعدم وجود تفكير فلسفي تنظيري قائم بذاته خاص بالجمالية فلا مجال للمقارنة بين الفلسفات الجمالية في الفكر الوضعي وجمالية تستند إلى تصور إلهي ثابت

34 وهو علي بن محمد بن العباس التوحيدي، أبو حيان فيلسوف متصوف معتزلي، لسان الميزان ،ج7 ،ص45-46، الأعلام ،ج4 ،ص 326.

35 التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1، ص 150.

36 عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، 1974م ،ص 140.

37 الإمتاع والمؤانسة ،ص 43.

38 الأسس الجمالية في النقد العربي، ص 141-142.

39 الظاهرة الجمالية في الإسلام ،ص 218-220.

EDITORIAL

الدعائم، ومكمن التفاوت أنّ الفلسفات الجمالية الوضعيةالتي تمتد جذورها إلى العهد الإغريقي انطلقت من هاجس رئيس هو حيرة البحث الدائب عن منظور لحقيقة الجمال، وهذا تفسير التراكمات الفلسفية التي تعبر عن الانشغال العميق بإيجاد تصور أشمل من سابقه يملأ ثغرات الفراغ الروحي والقلق الفكري.

أما الجمالية الإسلامية فلم تكن بحاجة إلى خبط فكري، تنتج ركاماً فلسفياً لجماليات تقبح بعضها وتنقض أسسها على مر التاريخ، فقد وجدت دعامتها في تصور إلهي شامل للكون والحياة والإنسان "فالإسلام يقدم للناس كافة نظرة جمالية مستقرة ثابتة يتلقاها الإنسان في المجتمع المسلم منذ نعومة أظفاره في البيت والمسجد والمعهد، وسواء كان يعي المسلم النظرة الجمالية وعيا فلسفيا أم لم يكن، فإنّ القضية كانت تربية ونشأة وعقيدة وإيماناً، تجري في دمه وتنمو في فطرته وطبيعته يعيها ويحس بها، وقد لا يقوى على التعبير عنها"[40].

1- مصادر الجمالية في التصور الإسلامي

مصدر الجمالية الإسلامية القرآن الكريم، ويضم بين دفتيه التصور الأكمل للكون والحياة والإنسان، مصدقاً للكتب السابقة ومتفوقاً عليها بالإحاطة والشمول والثبات من جهة، ويعتمد الجمالية منهجاً من صميم التصور في الأداء والتبليغ. وهذا الوصال بين الدين تصوراً والجمالية منهجاً يتسق مع الناموس الكوني العام، وأي انحراف عن التصور هو تشويه لحقيقة الجمال. والعلاقة بين الدين والجمال مركوزة في الفطرة "هذه العلاقة عمادها وحدة الهدف ونظافة الوسيلة والفن الذي يعمل تحت مظلة الدين وتوجيهه لا ينحرف عن الجادة أو يتصادم مع طبائع الحياة ونواميسها"[41].

والدليل على هذا الارتباط أنّ التأريخ للفكر الجمالي كان متصلاً بالمعتقد الديني[42]، فليس غريباً أن تستمد الجمالية وجودها وهويتها من التصور الإسلامي، الغريب أن تستورد لبوساً يضيق بمحتواها ويقبح جمالياتها، ويجمل المضامين المحرفة عن تصورنا وبيئتنا. فالذين افتعلوا الخصومة بين الجمال والدين، لقطع اتصالنا بمصدر جمالياتنا، تعمدوا تصدير، مع كل مذهب جمالي، وثناً جديداً، والآن وقد سقطت مغالطة فصل الجمال عن الدين لسقوط حجيتها في الواقع وقيام دعوات صحيحة لبعث التراث والإقرار بتعددية الثقافات بعد ضمور ثقافة (الأنا)، وبعد أن أيقن المنصفون باستحالة الفصل بين الجمال والمنظور الإيديولوجي[43]، صار لزاماً المضي قدماً في إرساء الجمالية الإسلامية منهجاً يحمل التصور الصحيح للإنسانية المتعطشة التي تعبت من الدوران حول نفسها دون طائل. ويمكن إرجاع عدم وجود بحوث فلسفية مستقلة بالتفكير الجمالي

40 عدنان النحوي ، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ، الطبعة الثانية 1978م، ص 263.

41 نجيب الكيلاني، آفاق الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، سوريا ، ط1 /1985 ص40.

42 نجيب الكيلاني، آفاق الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة ، سوريا ، ط1 /1985، ص40.

43 فاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث ، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى 1994. ص 136.

EDITORIAL

إلى الصلة القائمة بين بحث الجمال والفلسفة، حيث أدت إلى نفور العلماء من التخصص في بحث الجمال، معتبرين الاشتغال بالفلسفة أمر مذموم.

وإذ لم تظهر النظرية الجمالية بشكل منهجي مستقل ومتخصص، فإنها مبثوثة كمادة خام في مصادر متنوعة لم يعرفها الفكر الجمالي الوضعي، والمصدر الأول بطبيعة الحال القرآن الكريم ثم العلوم التي نشأت في منطلق البحث في جمالياته المعجزة؛ التفسير والعلوم اللغوية والنقد، وانصهرت في بوتقة الدراسات القرآنية مشكلة اتجاهاً جمالياً غير مسبوق يدور في محور الإعجاز القرآني، وهذا دليل قاطع على التفاعل البنّاء بين الفكر التنظيري للجمالية الإسلامية وبين الفكر التطبيقي في توجه النقاد وأهل البلاغة والمفسرين لسبر غور أعظم الأسرار الجمالية في كتاب ديني عرفته الإنسانية[44]؛ لأنّ مفهوم الجمالية لم يستقل عن الطابع الديني.

وعلى قدر ما كان اتجاه المفسرين إلى الجمال الباطن، انشغل أرباب البلاغة والبيان بالجمال الظاهر في التراكيب والصيغ اللغوية "واستخلاص القواعد والمقاييس من نماذجه الرائعة، وإن كان القرآن في سموه وإعجاز فوق كل القواعد والمقاييس"[45]، علما بأنّ نظرة التهيب من عظمة النص القرآني، والدهشة من قوة أثره وروعة جماله وقدسية مصدره قد وسمت التفكير الجمالي بالتدرج المرحلي، من الذهول والعجز عن تعليل الجمال في بواكير تنزله لحداثة العهد بسحره، إلى محاولات ومقاربات إدراك وتعليل الجمال في الآيات المتفرقة، إلى مرحلة إدراك الجمال الكلي من خلال رصد السنن العامة والقواعد المضبوطة والظواهر المطردة، لأن المقدس في الجمالية الإسلامية "هو المبدأ، المقدس هو السنن والقوانين والنظم التي تحكم الكون وما وراء الكون"[46]، وبالتالي فإنّ المقدس في النص القرآني الدافع لإدراك القوانين والقواعد الكلية كمجال حيوي لاستكناه الأبعاد الأساسية لمنهج محكم للدراسة الجمالية.

وعندما برزت قضية اللفظ والمعنى في الكتب النقدية، كان الباعث المحوري، مكمن الإعجاز هل هو في أسلوبه أم في محتواه، أم خارج النص؟ وذلك القول بالصرفة وهو نزوع عبثي ساذج لتخريب النظام الجمالي القائم على منطق معلل بمعايير ثابتة من بنية النص، وما يحمل من روابط وعلاقات سياقية في الداخل والخارج. وأهم قيمة نسجلها أنّ النزوع الباطني والنزوع الظاهري في استكناه الجمالية القرآنية لم يعرف التناقضات،بل اتخذ طابع التنافس العلمي الهادف للوصول إلى الحقيقة العليا، وليس طابع الصراع الثنائي القائم على نقض الآخر، ويعد ذلك أثراً للانصهار والتوحد في التصور الإسلامي الذي "انطبعت فيه جميع النشاطات الحضارية في المجتمعات الإسلامية، ومن هذا البناء المعرفي الشامل والموحد تنبثق الفنون الإسلامية بجمالياتها التي تنظمها الوحدة في التنوع، كمظهر ومجتلى للمعرفة الإسلامية"[47]، هذا التنوع يؤدي

44 أثر القرآن في تطور النقد، ص 361.

45 مجموعة من المؤلفين، الأدب الإسلامي المفهوم والقضية، دار الجيل، بيروت ، ط1 ص82.

46 انظر التصوير الفني في القرآن، ص 32.

47 علم الجمال الإسلامي ، ص 49.

EDITORIAL

إلى التكامل في حلقات متواصـــلة، وهو مقوم ثابت. وبالتالي النزوع الظاهري للبلاغيين، في وقوفهم على جماليات القرآن الشـكلية لم تقم على أســاس نقض الباطن، بل تنطلق وتخلص من تشــرب المحتوى وتعزيز جانب الباطن، ومنه سـارت الدراسـات القرآنية على الخط البلاغي الظاهري ليس بمنطلق تصـويري جديد في إنكار الباطن، بل من منطلق اجتهادي علمي بحت محكوم بالوســائل المتاحة في البيئة الثقافية. ونلمس ذلك في انتباه الرواد القدماء إلى تعدد أوجه الإعجاز القرآني محاولين حصرها، ثم يكون التفصيل والعناية بالجانب الشكلي الظاهري.

وحتى (عبد القاهر الجرجاني) رغم جهده النفيس لإبراز قيمة الوحدة بين الظاهر والباطن في تفســـير ظاهرة الإعجاز القرآني مســـتخدماً نظرية النظم؛ أي نظام العلاقات في بناء الألفاظ على المعاني، فقد كانت الصبغة الشكلية ظاهرة في التطبيق[48]، وأهم نقطة أنّ (عبد القاهر) أراد أن يكون له منهجاً نقدياً خاصاً[49] أثر تأثيرا كبيرا في التفســـير، وظهر ذلك في الكشـــف عن حقائق الترتيل وفي النقد عموما كدائرة منفتحة على الانجازات الجمالية الإنسانية[50].

وأفاد (سـيد قطب) من جهود السـابقين من بلورة منهجه في فهم أسـرار الجمالية القرآنية فهماً كلياً للقواعد والظواهر والآثار من خلال التأكيد على الدراســـة العمودية المعمقة. وطبّق تنظيراته الجمالية في كتاب (التصـوير الفني) وهو يفسـر القرآن، تجلت في تفسـير الظلال، حيث كان سـباقاً "لبيان الوحدة الموضـوعية للقرآن الكريم، وعرض التناسـق الفني في أسـلوبه وصـياغته والتناسـب الموضـوعي في دروسـه"[51]. ويظهر اجتهاده المبتكر في إبراز قيمة التصور الشامل للكون والحياة في الجمالية الإسلامية موضحاً الفرق من خلال عرضـه للمذهب المثالي، "إنّ المثالية أحلام؛ لأنها تتطلع إلى عالم غير منظور وغير مطلوب تحقيقه، إذ هو بطبيعته غير قابل للتحقيق في عالم الأرض، أما الإسلام فهو حركة إبداعية لتحقيق تصور معين للحياة، قابل للتحقيق، وفي طبيعة النفس البشـرية اسـتعدادا لتحقيقه، حين تسـتجيب لدعوته وحين تتأثر به تأثرا إيجابيا لا تكتفي بالمشاعر والشعائر"[52].

وبالتالي تحقيق التصـــور يتطلب منهاجا محكما ولا يمكن صـــياغة منهج رصـــين، إلا بالاســـتناد إلى مصادر ثرية تغني روافده، ومصادر الجمالية الإسلامية تدور على محور القرآن الكريم، وهو أهم المصادر ثم التفسير والدراسات القرآنية، والنقد في انفتاحه على الإضافات الإنسانية المتجددة.

2- الأبعاد الأساسية للمنهج الجمالي:

48 نظريات الإعجاز القرآني، ص 129.

49 عبد الفتاح الديدي، الأسس المعنوية للأدب، دار المعرفة ، ط1 /1996.

50 أثر القرآن في تطور النقد الأدبي ، ص 357.

51 صلاح عبد الفتاح الخالدي، في ظلال القرآن في الميزان، دار الشهاب ، ط1 /1986 ص406.

52 سيد قطب، في التاريخ فكرة ومناهج، دار الشروق، 1995، ص 23.

EDITORIAL

بعد أن اتضحت مصادر الجمالية، نسأل ما هي الأبعاد الأساسية للجمالية وفق التصور الإسلامي؟. وبما أنّ منهج الجمالية الإسلامية، يمكن صياغته من خلال التصور كمحور ثابت تدور في فلكه ثلاث دوائر، دائرة التفسير، ودائرة الدراسات القرآنية، ثم دائرة النقد في اتساعها لتشمل حقل الإبداع الإنساني المتنوع، ومن ثمة تستمد الجمالية الإسلامية أبعادها من المحور الثابت، ووسائلها من الدوائر المتلاحقة تأثراً وتأثيراً.

ويعد البعد "إمتداد قائم بالجسم أو بنفسه عند القائلين بالخلاء كأفلاطون، والبعد ضد القلوب، وليس لهما حد محدود، وإنما ذلك بحسب الاعتبار يقال ذلك في المحسوس، وهو الأكثر وفي المعقول"[53]، أما علماء الكلام "فقد جعلوا البعد امتداداً موهوماً، مفروضاً في الحجم، أو في نفسه، صالحاً لأن يشغله الجسم"[54]، وعلى هذا الأساس نصل إلى أنّ الأبعاد الأساسية للمنهج الجمالي، هي إسقاطات عملية ممتدة من التصور النظري بما أن البعد هو الامتداد، وتعكس حيوية المنهج وفعاليته، وهي ثلاثة: البعد العقدي، والبعد الاجتماعي، والبعد الحضاري.

أ- البعد العقدي :

نتج عن استناد الفلسفة الوضعية على تعدُّدية المحاور تناقض في المعايير الجمالية واضطراب في المناهج وتضارب في المذاهب، أما الجمالية الإسلامية فقد أنتجت عن التصور الواضح الشامل معايير ثابتة تستوعب الإنسان والكون والحياة، تدور كلها على محور واحد، الإيمان بالله، وهي وحدة قياسية عامة على كل المعمورة تشترك فيها الفطرة الإنسانية، من خلال الديانات التوحيدية، ويمثلها الإسلام أكمل تمثيل "وإنه تصور يسعى لتحقيق أكبر قدر من الوفاق والتناغم، بين الإنسان والوجود، وخلق إيقاع موحد بين كافة الأطراف التي يحتويها الكون، ويضم جناحيه عليها، التحقق -كذلك- بأكبر قدر من الحضور في قلب الطبيعة والعالم وصولاً إلى الله، الحقيقة المطلقة والجمال الكامل"[55]، والبعد العقدي هو البعد الأولي الذي يندرج تحته البعد الاجتماعي في اتساق وتناغم.

ب- البعد الاجتماعي:

وظَّف (محمد طول) البعد الاجتماعي في دراسة الشخصية[56] باعتبار التلازم بن التصور النظري والفعل الاجتماعي،والإيمان بفعالية الحركة[57] "وحين تستقر العقيدة الإسلامية في الضمير البشري، استقراراً حقيقياً، فإنه يستحيل عليها أن تبقى ساكنة، يستحيل أن تظل مجرد شعور وجداني في أعماق الضمير، إنها

53 محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، معجم لغوي مصطلح، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان ط1410/1هـ 1995م ص 136.

54 جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، مكتبة المدرس، 1982، ج1 ص 213.

55 مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ص 176.

56 محمد طول البنية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ص 70-71.

57 انظر منهج الفن الإسلامي ، ص 44.

EDITORIAL

لا بد إنّ تندفع لتحقيق ذاتها في عالم الواقع ولتتمثل حركة إيجابية إبداعية في عالم المنظور، حركة تبدع الحياة كلها، وما ينشـــأ عنها من ألوان وأطياف، وتعمير"[58]. ويتحقق ذلك نتيجة اتســـاق الباطن والظاهر في وحدة منسجمة، فلا قيمة لتصور لا يصدق في واقع الحياة[59]، "وتتبدى هذه الثمرة في فكر جمالي، وتصورات، وقيم، ومثل عليا جمالية، تقع جزءاً من البناء الثقافي للمجتمع، وهو البناء الذي يعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة في هذا المجتمع، ومستوى تطوره، ومادام البناء الثقافي محكوماً باتجاه (فكري) عام معبَّر عن الأوضاع والعلاقات التاريخية الاجتماعية، فإنّ ثمرة الصلة الجمالة محكومة بذات الاتجاه"[60] تأثيراً وتأثراً، استمداداً وعطاءاً، "فالدين الجديد كان أسلوباً من أساليب الفكر، ونمطاً من أنماط السلوك، فكان لابد له أن يترك آثاراً في الحياة الفنية التي تتوج الحياة النفســـية للناس، وتتمثل لأعمق منازعها وتطلعاتها"[61] كقوة مؤثرة في حياة المجتمع الجديد.

جـ- البعد الحضاري:

الجمالية الإســـلامية هي، مبدئياً، تصـــور، وبذلك تحافظ على الهوية الحضـــارية للأمة؛ لأنّ "الإطار الحضـاري بكل محتوياتها متصـل بذوق الجمال، بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضـارة"[62]، والجمالية الإسـلامية ببعديها العقدي والاجتماعي "أوسـع نظرة جمالية منفتحة على الإنسـان المسـلم، إنسـان كوني لا تحده حدود الإقليمية أو العنصرية أو حتى الأرضية!! "[63] في حركة دائبة من أجل التأثير والتغيير، لم تكن على مر التاريخ مجرد بحوث نظرية أو مساجلات فلسفية، بل حركة بنَّاءة شاملة، وبصمات المفكرين الإسـلاميين النوعية والمتميزة شـاهدة على التطور الحضـاري المعاصـر، "ولولا الحرية المسـؤولة التي كفلها الإســـلام تنظيراً وتطبيقاً لما كان لهذه الإبداعات العقلية والتحليلية ذلك الوجود القوي المؤثر"[64]؛ لأن قيمة الجمالية الإســـلامية ليســـت في الانزواء والتقوقع، بل في الانفتاح الهادف على الثقافات بحصـــانة التصـــور الثابت الذي يمدها بأسـباب البقاء ومقومات التأثير ويكفل لها إيجابية التلاقح الثقافي الهادف بما يعلي جانب التصـــور الإســـلامي، ولا يجعله محل نقض جمالية خصـــبة "بانفتاحها على شـــتى المذاهب الفنية مادامت

58 في التاريخ فكرة ومنهاج، ص23.

59 النظريات الجمالية ، ص 26.

60 عبد المنعم تليمة، مدخل إلى علم الجمال الأدبي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1978 ، ص34.

61 شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، ط5، 1981، ص322.

62 مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، سوريا 1986، ص94.

63 عماد الدين خليل، في النقد الإسلامي المعاصر، مؤسسة الرسالة ، ص 39-40.

64 آفاق الأدب الإسلامي، ص 97-98.

منسجمة في اتجاهاتها وتفاصيلها مع الكون والإنسان، الإيجابية في سبيل الحق والعدل الأزليين، وفي إطار الجمال المبدع بعيداً عن التزييف والكذب والتناقص"[65].

وهذا ما فعله المفكرون الإسلاميون منطلقين من هذه القيمة الباهرة بوزن الثقافة اليونانية والفارسية والهندية بميزات التصور الإسلامي، فلا نلمس احتذاءً أعمى أو انزلاقاً إلى القيم الوثنية "من خلال تقدير لطبيعة الفكر الأصيل المفتوح على قيمه وقواعده والمتصل بكل ما يترجم إليه من الفكر البشري دون أن يجعله مسيطراً عليه أو يترك له التأثر الذي يشوه ذاتيته ومفاهيمه"[66].

والفكر الجمالي الإسلامي لم يكن ناقلاً وسيطاً، بل امتاز بالإيجابية في التقويم والتصحيح بالمنطق العقلي والتجربة العلمية لانحرافات التراث الإغريقي ونقده للحضارة الغربية في أروع حلة "وبالنظرة العادلة نفسها نقول أو ليس من الخطأ أن نقيس الحضارة الإسلامية بمقياس الحضارة الإغريقية ذاته، وأن نتهمها – كما هي الحال حتى الآن– بنقض فلسفتها العالمية، أو أن نصفها بأنها محاكاة الحضارة الهيلينية؟ إنّ الحضارة الاسلامية المبتكرة لم تأخذ عن الحضارة الإغريقية أو الحضارة الهندية إلا بقدر ما أخذ طاليس أو فيتاغورس من الحضارتين البابلية والمصرية. لقد طور المسلمون بتجاربهم وأبحاثهم ما أخذوه من مادة خام من الإغريق وشكلوه تشكيلاً جديداً"[67]، وهذا بفضل الرؤية الإسلامية التي صبغت جهودهم بصبغة حضارية لها خصوصيتها، والتي حاولت الحضارة الحداثية المعاصرة طمس معاملها في سيادة فلسفة جمالية عنصرية تثبت وجودها على نقض الآخر.

لذا لابد أن يحمل منهج الجمالية الإسلامية الهوية الحضارية "هوية لابد من أن تنحدر من الرؤية الشاملة، أو من الفلسفة الجمالية الكلية، وهي بالضرورة رؤية وفلسفة مستقبليتان، ذلك أنّ الخصوصية الكبرى التي يتميز بها الفن الإسلامي التراثي إنما تنبع من مثل هذه الرؤية ومن مثل هذه الفلسفة"[68]، ولكل جمالية خصوصيتها[69] التي تطبعها بالبقاء أو الفناء. ومن ثم ارتقت الجمالية في المنظور الإسلامي إلى "أداة اختبار لقدرة الإنسان على الفحص والتمحيص على تجاوز الشكل الخارجي للأشياء وصولا إلى الجواهر، على عدم السكون عند الواجهات الجميلة وتجاوزها إلى الداخل لمعرفة طبيعة البضاعة هناك، على القدرة على التحرر من الإغراء والخضوع للزينة، لكي يكون الإنسان هو يمتلك حريته تلك أكثر فاعلية وعطاء وأعمق بتجرده هذا ارتباطاً بأسباب السماء"[70].

65 في النقد الإسلامي المعاصر، ص 40.

66 خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدب الحديث، ص 400-401.

67 زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط5 /1401/1981، ص400-401.

68 منهج الفن الإسلامي، ص32.

69 شروط النهضة ص، 102.

70 مدخل إلى نظرة الأدب الإسلامي، ص 35-36.

EDITORIAL

ومع ضرورة مراعاة الهوية الحضارية في الانفتاح على الثقافات بمنطق القوة المنتجة والندية الإنسانية لا بمنطق عقدة النقص والتبعية العقيمة، ولابد من معرفة تراثنا الجمالي، والثقة بمردودنا الحضـــاري، والاعتداد بالنماذج الأصيلة في استمدادها من التصور الثابت، وعدم تقنين الشاذ والدخيل في صياغة منهج الجمالية الإسلامية، والاستفادة من الدعوة لاستلهام التراث ببعث تراثنا الجمالي المتميز، وبلورة خصوصيته الحضارية في منهج متميز في إحاطته بالأبعاد، وثرائه بالوسائل، وقدرته على تتبع الآثار الجمالية دراسة ونقداً وتقويماً.

3- قيمة الجمالية منهجاً:

بعد أن اتضحت لنا الأبعاد الأساسية لمنهج الجمالية الإسلامية. يأتي السؤال: ما هي قيمة الجمالية منهجاً؟ وما هي دواعي وجوده؟

بناءً على ما ســبق تبدو عملية التاريخ للجمالية الإســلامية وفق مناهج مبتورة عن ســياقها المعرفي وخصوصيتها الحضارية أدت إلى قطع صلتها بالرحم الجامع وظهورها بصورة مقزمة وهزيلة عاجزة عن الإضافة إلى الحضارة الجمالية المعاصرة. هذه المناهج الدخيلة سعت إلى تفتيت العطاء الفكري الإسلامي وتجزئ نواته أجزاء متناثرة ليفقد قيمته الكلية الجامعة، وتضـــييع الثقة في وجوده وفعاليته. وبالتالي كانت الخطوة الثانية تحصيل حاصل في التهافت على استعارة المناهج الجمالية النابعة من الفكر الوضعي الوثني، حيث يتشرب القارئ المضامين الفكرية المنحرفة مع الأشكال الجمالية[71]، وحدث الشرخ الكبير في إبعاد الجماليات المستوردة عن غربلة التصور الإسلامي، التي حملت في باطنها السموم الفكرية الهدامة لدرجة محاولة إلحاق الدراسات القرآنية بمناهج بعيدة عن بنية النص القرآني لضرب المحور الثابت، ونقض المقدس، وإقامة نصب الجمالية وثنا مقدسا لا يناقش، ولا يرد، وإذا كانت دعوة أشياع الفكر الوضعي من أجل تحرير الجمالية الإسلامية من عقم القديم البالي، فلماذا يكون المقابل الوقوع في قيد فكر أجنبي على حساب الهوية الحضارية للأمة؟

هذه المناهج الجمالية قد ســيطرت بناءً على منظور وثني في بيئة مختلفة كل الاختلاف عن الجمالية القرآنية[72]، ونلمس طغيان نظرة التشكيك في إمكانيات الجمالية الإسلامية المنهجية بحيث تقاعست العزائم عن ممارسته وتمثله تمثلاً كاملاً، لإعطاء البديل عن الجماليات الغربية. وقد جربنا، حقباً، استيراد المناهج الدخيلة وما استقام سيرنا "ولا استطعنا أن نستوعب المناهج المستوردة لأنّ استرادها أمر يتنافى مع طبائع الأشياء ويتناقض مع عقيدتنا السمحاء الكاملة التي تجافي الركود وتمقت العصبية والجشع، وتربط بين الدنيا والآخرة وتوضح العلاقة المقدسة بين الخالق والمخلوق وتجعل التوحيد فكراً وسلوكاً وشعاراً"[73].

ومع تساقط المناهج الجمالية الوضعية واحداً تلو الآخر، والإقرار بالتعددية الثقافية والدعوة إلى استلهام التراث بعد أن فشل منهج الإقصاء والتجبر الحضاري لا بد من الرجوع إلى تراثنا الجمالي الزاخر والاتصال

71 آفاق الأدب الإسلامي، ص 25.

72 خصائص الأدب الإسلامي في مواجهة نظريات النقد الحديث، ص 60.

73 آفاق الأدب الإسلامي، ص 63.

بالمحور الثابت في صياغة منهج يستوعب تغيرات العصور ويواكب حركة التاريخ؛ لأنّ التعارض بين مصدر الفكر الجمالي الوضعي وبين الفكر الجمالي الإسلامي أصيل وعميق، الأول وثني مائع، والثاني توحيدي ثابت الأركان، ويستحيل الجمع بين هذين المصدرين، وأنّ جوهر العمليتين مختلف ومتضارب، فالتكوين المتكامل لثقافة حية لا ينشأ عن ازدواج في الطبيعة والمنهج وفي الروح والنمط"[74]، لابد من إعادة استلهام التراث الفكري، بنظرة تقويمية لفرز الأصيل من الدخيل وعدم تقنين الطفرات الشاذة وإغفال الظواهر العامة المتكررة، واستمداد الوسائل بغربلة الرصيد الجمالي والاستفادة من الدوائر الثلاثة، التفسير والدراسات القرآنية وخاصة كتب الإعجاز والنقد في انفتاحه على الجهود الإنسانية عامة مع وضع الوسائل على محك التصور الإسلامي[75].

ترفض الجمالية الإسلامية الانغلاق الساذج لأنها ذات "إطار كوني ملتزم إنساني إيماني وثوري توحدي وأخلاقي إيجابي، وكما يعبر الإسلام عن مرونته الفنية في قضية المحتوى الفني، فإنه يملك ذات المرونة في مسألة الشكل فهو مفتوح للتعبير عن التجربة الفنية بأي وسيلة كانت الكلمة، الصوت، الحركة، التشكيل ضمن الإطار الذي يرتضيه، ذلك أنّ إحدى معجزات القرآن الكريم نفسه تقديمه أمثلة عليا للأداء الفني الذي يعتمد الكلمة الموسيقى والصورة الفنية وحدة متجانسة رائعة التعبير عن مثل إلهي أعلى للعطاء الفني"[76].

نخلص إلى أنّ الجمالية منهجاً في الفكر الوضعي لا تصلح منهجاً للدراسة وتقويم الانجازات الجمالية الإنسانية البعيدة عن منظورها العقدي وبيئتها الاجتماعية وهويتها الحضارية، ناهيك عن النص القرآني كمصدر علوي مقدس منه تستمد الأصول والقواعد الجمالية، مثلما فعل أسلافنا الأعلام، ولا يجدر ولا يصح أن نطبق مناهج جمالية ضبابية على الشمس الساطعة التي يستقي منها الكون النور والضياء. لابد من منهج جمالي من طبيعة النص يتناسب مع أبعاده ومقاصده، فلكل لبوسه المناسب لمقاسه فلو زاد أونقص كان عكس المطلوب.

الخاتمة:

هكذا يتضح أنّ المفكرين المسلمين قد فهموا الجمالية على ضوء القرآن الكريم، انطلاقاً من تصور شامل للإنسان والكون والحياة، التصور الذي يستمد حقيقته ووجوده من الاتساق والتناغم بين الظاهر والباطن، باعتبار الجمال الباطن أرفع قدراً من الجمال الظاهر، في حين تصاغ الجمالية الإسلامية منهجاً من خلال التصور كمحور ثابت، تدور على فلكه ثلاث دوائر؛ دائرة التفسير، دائرة الدراسات القرآنية ثم دائرة النقد في اتساعها على حقل الإبداع الإنساني المتنوع، ومن ثم تستمد الجمالية الإسلامية من المحور الثابت ووسائلها من الدوائر المتلاحقة تأثيراً وتأثراً.

---

74 الأسس المعنوية للأدب ، ص 212.

75 محمد حسن بريغش، في الأدب الإسلامي المعاصر، مكتبة المنار، الأردن ، ط2، 1985 ، ص50-51.

76 في النقد الإسلامي المعاصر، ص 42.

EDITORIAL

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

1. ابن القيم الجوزية (1956): **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، مطبعة السعادة، مصر.
2. أبو بكر الرازي: **التفسير الكبير**، ج19 ، الطبعة الثالثة،(دت) ،دار إحياء التراث العربي.
3. أبو حامد الغزالي(دت) : **إحياء علوم الدين**، ج4،عالم الكتب دمشق.
4. أحمد بسام رشدي، وسالم محمد عدنان(1416هـ/1995م): **المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم**، الطبعة ،1دار الفكر دمشق سوريا دار الفكر المعاصر بيروت لبنان.
5. أحمد رحماني(1998م): **نظريات الإعجاز القرآني** ،الطبعة الأولى، مكتبة وهبة ، القاهرة.
6. التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، ج1 ، منشورات، (دت) دار، مكتبة الحياة بيروت.
7. الشاطبي، **الموافقات**، (دت)،ج2، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
8. القشيري(1981): **لطائف الإشارات**، م4/ط2، مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب.
9. أنور الجندي (1985م): **خصـــائص الأدب الإســـلامي في مواجهة نظريات النقد الحديث** ، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
10. جميل صليبا (1982): **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية**،ج1،دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان مكتبة المدرسة .
11. رواس عبد الفتاح جي قلعة (1411هـــ/1991م): **علم الجمال الإسلامي**، الطبعة الأولى، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.
12. زيغريد هونكة(1981/1401): **شمس العرب تسطع على الغرب**، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
13. سمير الصايغ(1988): **الفن الإسلامي**، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
14. سيد قطب : **في ظلال القرآن** ج14 ،(دت) ، دار الشروق.
15. سيد قطب: **التصوير الفني في القرآن** ،(دت)، دار المعارف الطبعة التاسعة.
16. سيد قطب (1995): **في التاريخ فكرة ومناهج**، دار الشروق.
17. شكري فيصل(1981): **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول**، ط5، دار العلم للملايين.
18. صالح أحمد الشامي(1986): **الظاهرة الجمالية في الإسلام**، الطبعة،1المكتب الإسلامي.
19. صلاح عبد الفتاح الخالدي(1986): **في ظلال القرآن في الميزان**، ط1، دار الشهاب
20. صلاح عبد الفتاح الخالدي،: **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**،(دت).، شركة الشهاب الجزائر.
21. عبد الحليم محمود(1402هـــ 1982م): **التفكير الفلسفي في الإسلام**، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت.

EDITORIAL

22. عبد الفتاح الديدي(1996): **الأسس المعنوية للأدب**، ط1، دار المعرفة.
23. عبد المنعم تليمة(1978): **مدخل إلى علم الجمال الأدبي**، دط، دار الثقافة للطباعة والنشر ،القاهرة .
24. عدنان النحوي (1978م): **الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته** ، الطبعة الثانية.
25. عز الدين إسماعيل(1974م): **الأسس الجمالية في النقد العربي** ، الطبعة3، دار الفكر العربي.
26. عماد الدين خليل: **في النقد الإسلامي المعاصر**، (دت)، مؤسسة الرسالة.
27. عماد الدين خليل: **مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي**،(دت)، الشركة المتحدة للتوزيع بيروت.
28. عماد الدين خليل (1401 هـ1981): **الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي**، ط2 ، مؤسسة الرسالة.
29. فاضل ثامر(1994): **اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث** ، الطبعة 1، المركز الثقافي العربي.
30. فهمي الهويدي(1402 هـ 1982م): **القرآن والسلطان، هموم إسلامية معاصرة** ، ط 2، دار الشروق.
31. مالك بن نبي(1986): **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دط، دار الفكر.
32. مجموعة من المؤلفين(1412): **الأدب الإسلامي المفهوم والقضية**، ط1، دار الجيل بيروت.
33. محمد النويهي (1966-1967): **وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي**، دط ، مطبعة الرسالة.
34. محمد حسن بريغش(1985): **في الأدب الإسلامي المعاصر**، ط2،مكتبة المنار الأردن.
35. محمد زغلول سلام: **أثر القرآن في تطور النقد العربي**، إلى آخر القرن الرابع هجري، ط3 دت ، دار المعارف.
36. محمد طول البنية: **السردية في القصص القرآني**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
37. محمد عبد الرؤوف المناوي(1410هـ 1995م): **التوقيف على مهمات التعاريف**، معجم لغوي مصطلح، ط1،دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
38. محمد قطب (1403هـ -1983م): **منهج الفن الإسلامي**، ط6، دار الشروق.
39. محمود بن عمر الزمخشري: **الكشاف** ،(دت)، ج2 ، دار المعرفة بيروت.
40. مصطفى صادق الرافعي: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**،(دت)، دار الكتاب العربي لبنان.
41. نجيب الكيلاني(1985): **آفاق الأدب الإسلامي**، ط1، مؤسسة الرسالة .
42. وهبة الزحيلي: **أصول الفقه الإسلامي**، ج1، دط/(دت) ، دار الفكر.